والسياسية والاقتصادية في اسرائيل .

ثانيا : رغم ان مشكلة الهوية اليهودية مشكلة يهودية بحتة ، الا انها تهم العرب عامة والفلسطينيين خاصة من حيث مواجهتهم لليهود والمشكلة اليهودية في فلسطين . فالمواجهة تأخذ ابعادا مختلفة في حالة كون الهوية اليهودية هي القومية اليهودية عنها في حالة كون الهوية اليهودية هي القومية الاسرائيلية . يقول الكاتب ان يهود فلسطين يبحثون عن هوية قومية لانفسهم بعد ان ثبتوا اقدامهم في فلسطين وبعد ان اقاموا فيها كيانا سياسيا قويا . وقد انقسم اليهود في بحثهم عن هوية قومية الى اكثر من فئة ، بالاضافة الى الفئة الدينية المتطرفة التي لا تعترف بوجود قومية يهودية لان هذه القومية تتنافى مع هوية اليهودي الدينية . الفئة الاولى تعتبر انها يهودية الهوية ، وان كل يهودي في العالم هو جزء منها وان لا فرق من الناحية القومية بين اليهود الذين يعيشون في اسرائيل او في اميركا وفرنسا مثلا . فالدين بالنسبة لهذه الفئة هو العنصر الاساسي في القومية ، وبالتالي فان القومية اليهودية لا تقتصر على فلسطين ، اي انها غير مرتبطة بالارض المقدسة . الفئة الثانية هي الفئة الصهيونية العلمانية والتي ترى ان القومية اليهودية تتجسد في تواجد اليهود في ارض واحدة وفي امتلاكهم لدولة مستقلة ذات سيادة . الفارق بين الفئتين الاولى والثانية هو ان الاولى تعتبر القومية اليهودية متكاملة بدون دولة وبدون ارض ، بينما الفئة الثانية تعتبر هذه القومية تصورا لا يتجسد الا اذا ارتبط بأرض ودولة وبفلسطين بالذات . تبقى الفئة الثالثة وهي تختلف اختلافا كبيرا عن الفئتين الاولين وتمثل تيارا جديدا في القومية هو تيار القومية الاسرائيلية . ومن الجدير بالذكر ان معظم افراد هذه الفئة هم من « الصبرا » اي اليهود الذين ولدوا في فلسطين . تقول هذه الفئة ان الهدف الصهيوني قد تحقق وبذلك تكون الحركة قد اكملت دورها ، فما الداعي للتمسك بالمبادىء الصهيونية ؟ وهكذا تصبح الصهيونية بالنسبة لهذه الفئة تعبيرا ساخرا كتعبير « الملك والوطن » بالنسبة للشبان الانكليز في الثلاثينات . وقد تجاهل هؤلاء الشباب الاسرائيليين يهوديتهم ، لكن بعضهم ذهب الى حد انكارها . فهم يفكرون في انفسهم كاسرائيليين لان ذلك الشعور حقيقي بالنسبة لهم اكثر من الشعور باليهودية . انهم لا يدركون اي معنى ليهوديتهم ، ويكتفون بكونهم مواطنين في امة كأية امة اخرى . انهم يشعرون بعدم التزامهم بأي جزء من ماضيهم اليهودي : « لقد انتهت اليهودية بعد ان اكملت دورها . لدينا الان دولة اسرائيل — ونحن ندافع عن بلدنا كاسرائيليين . المهم ان نعيش ولا يهم بأية حضارة او تقليد » .

ثالثا : المشكلة الاساسية الثالثة التي احدثت صدعا في المجتمع الاسرائيلي يزداد اتساعا يوما عن يوم هي مسألة التناقض الهائل بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين واستحالة اندماج الفئتين ببعضهما حتى الان .

الفكرة الاساسية للصهيونية هي تجميع كل يهود العالم في فلسطين او في « اسرائيل الكبرى » وصهرهم في مجتمع يهودي واحد . لكن تجربة الانصهار بين اليهود الغربيين والشرقيين فشلت فشلا ذريعا في دولة اسرائيل خلال العشرين عاما الماضية وليس هناك ما يبشر بامكانية حلها حلا بناء لصالح المجتمع الواحد . وقد فشلت تجربة الانصهار نظرا للمفارقات الاجتماعية والثقافية والحضارية الهائلة بين اليهود الغربيين والشرقيين، بحيث لا تنفع وحدة الديانة ونمط الحياة العائلية في رأب هذا الصدع في نظام اجتماعي واحد . اذا تركنا الفروقات في لون البشرة بين الغربيين والشرقيين جانبا (وهي فروقات كافية للتمييز ضد الاخرين عند الغربيين) ، نجد ان معظم الشرقيين متأخرين قرنا او قرنين عن الغربيين في المستويات التقنية وفي الانماط الفكرية الموازية لهذه المستويات . كما ان نظرة الشرقيين الى المرأة نظرة شرقية ، ولا يتكلم العبرية سوى عدد قليل منهم . وقد ادت هذه الفروقات الى وجود نوع من الانعزال والانفصال بين الفئتين داخل المجتمع الاسرائيلي . كما ان هناك خوفا من وحديثا عن احتمال انشقاق تام يؤدي الى قيام مجتمعين اسرائيليين غير مترابطين بتاتا .

سيكون لهذه المشاكل الاجتماعية — السياسية العميقة تأثيرات كبيرة على الكيان الاسرائيلي يمكن للعرب استغلالها وتغذيتها كما يمكنهم ان يواجهوا القوى اليهودية في فلسطين على اساسها حاليا ومستقبلا ، وبذلك يتخلصون عن فكرة تماسك المجتمع الاسرائيلي وتجانسه وصعوبة تفتيته .

باسم سرحان